



المعلم بطرس البستاني
(1883-1819)

واحد من رواد تحديث الكتابة العربية

عرّف المؤرخ التونسي هشام جعيط النهضة بأنها في المقام الأول حركة تجديد لغوي وأدبي، وإذا صح هذا التعريف فإن نموذجه التاريخي الأبرز هو المعلم بطرس البستاني، الذي وُلد لأسرة مارونية بלבnan، حيث نشأ ودَرَسَ اللغة العربية والأدب والفلسفة واللاهوت. وتعلّم اللغات السريانية واللاتينية والإيطالية والعبرية واليونانية والإنكليزية. التحق بالإرسالية الإنجيلية الأمريكية في بيروت مترجماً ومشرفاً على مطبوعاتها. ثم مترجماً بالقنصلتين البريطانية والأمريكية في بيروت. تميزت مساهمة البستاني النهضة بالجمع بين مزاولة التعليم والعمل الصحفي والتأليف والترجمة.

بادر البستاني إلى تأسيس مدارس حديثة، بمضمون تعليمي وطني حديث جامع بين الطوائف، ومن غير استثناء لحق المرأة في التعليم. وأصدر صحفاً عربية ساهمت في تعميم خطابه الإصلاحية وفي تجديد الكتابة العربية وإثراء إمكاناتها التعبيرية عن أشواق الإنسان الحديث. كما أن هاجسه الإصلاحية وجه ترجماته، فترجم كتاب المؤرخ السويسري ميرل دوبينييه (1794-1872) عن «تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر» (في مجلدين) الذي يُعتبر أول سردية تاريخية موثقة للإصلاح البروتستانتي، كما شارك في ترجمة «تاريخ نابليون الأول» (3 مجلدات) ورحلة روبنسن كروزو بعنوان «التحفة البستانية في الأسفار الكيروزية». وفضلاً عن ذلك فإن البستاني هو أول من وضع معجماً عصرياً في اللغة العربية، سماه «محيط المحيط»، تطلب إنجازه أربعة عشر سنة (1855-1869)، كما أنه أول من أنجز أول موسوعة في اللغة العربية بعنوان «دائرة المعارف»، أصدر منها في حياته ستة أجزاء، ثم أكمل ابنه سليم وأخوه نجيب والعلامة سليمان البستاني إصدار الأجزاء المتبقية (8-11)، وتوقف العمل عليها سنة 1900، دون أن تتجاوز حرف العين. لقد توفّق البستاني -حسب ألبرت حوراني- مع حلقة من أبنائه وأقربائه وأصدقائه وتلاميذه، في إنشاء «الرواية العربية الحديثة» و«الصحافة العربية الحديثة».